الهوية والاختلاف وأثرهما في ضياع عصر الخلافة الأندلسي

الكلمات المفتاحية: الهوية ،ضياع ، الخلافة

البحثُ مستلٌّ من أطروحة دكتوراه

م.م أركان علي صالح رميض أ.م.د لؤي صيهود التميمي

جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

luay.ar.hum@uodiyala.edu.iq

الملخص

عند دراسة أي موضوع يتعلق بالجانب السوسيولوجي والأيديولوجي، فإننا لا يمكن أن نهمل الجانبين التاريخي والسياسي، لاسيما عندما يكون محتوى الموضوع متعلقًا بـ(الهوية والاختلاف) فهو فحوى المضمون وهذا أمر، أما الأمر الثاني فإنه يتعلق بالدراسات الثقافية، لذلك كان لنا وقفة خاصة بالجانب السياسي؛ لأن الباحث سيقف على هوية الممدوح والمهجو العربي والمخالف الغربي وهويات أخرى وردت في متون مرجعيات القصيدة الأندلسية .

تعد سمة هوية عصر الخلافة وأخص بالذكر (الهوية السياسية) من السمات التي أثرت في خلق الهوية الثقافية التاريخية لبلاد الأندلس، كان لمحتواها الداخلي أثر في تغيير مسيرة هذه البلاد سواء أكان ذلك على المستويات السياسية، والاجتماعية، والثقافية أم فيما سواها، حتى أننا نرى الكثير من الدارسين قد أطلقوا عليه بـ(العصر الذهبي)، لما شهدته الساحة السياسية، والثقافية، والعمرانية من رقي أسهم في هيمنة عصر الخلافة، إلا أنه لا يختلف عن العصر الذي سبقه (عصر الولاة) ولا العصور التي تتقدمها مثل (عصر الطوائف والمرابطين وعصر الموحدين، ...الخ) من ناحية الاضطرابات السياسية وكثرة الحروب والفتن وحتى من ناحية السياقات الثقافية، إذ شهد بدايات عصر الخلافة الكثير من الحروب والفتوحات والاضطرابات الداخلية والمعارك ضد الثائرين، حتى أن بلاد الأندلس كانت تتطلع إلى قائد حكيم ذي عزم لتولي أمر خلافة هذا العصر .

المقـــدمـة

شـهدت السـاحة السياسـية فـي بـلاد الأنـدلس منـذ الفـتح الإسـلامي العديـد مـن الصـراعات فـي محاولـة منهـا لإبـراز الهويـة العربيـة الإسـلامية، ثـم سـاد التحـول فـي الحقـب اللاحقـة إلـى صـراع الهوية الذاتية (الصراع الداخلي) وكانت بذوره في عصر الخلافة، التي كان لها أثر سلبي في الحياة السياسية والاجتماعية لذلك العصر وما تلاه .

وكانت نبرة الصراع الذاتي ناتجة عن الأطماع الشخصية التي نبعت من الذات الحاكمة (العامريين) في تولي زمام أمور الرياسة، ونشبت في وقتها حروبًا واضطرابات داخلية وخارجية على حد سواء بسبب ضعف إدارة البلاد من قبل الحاكم وأوصيائه (العامريين)، إن الصراع الدائم بين الهويات المتعلقة بالجانب السياسي (العامريين، والأمويين) قد عجلت برحيل عصر (الخلافة) في وقت مبكر من أوانه على الرغم من البنيان المتعالي الذي رصه الحكام والقادة في تلك الحقبة، إلا أن الهوية والاختلاف كانا أقوى من ترصين بنيان العصر مما سهل له توديع العصر بمدته الموسومة .

<u>الهوية المؤسسة لعصر الخلافة:</u>

يعد (عبد الرحمن الناصر(٣٥٠هـ))[١] أول خلفاء عصر الخلافة، إذ بدأ حكمه في ربيع الأول سنة (٣٠٠هـ – ٩١٢م)[٢]، إذ كان عمره آنذاك اثنين وعشرين عاماً، وقد اتفق الجميع على البيعة له بنفس راضية على الرغم من صغر سنه ومع وجود الكثير من أعمامه الذين هم أحق بالخلافة منه، إلا أنه كان قد كسب محبة الناس جميعاً بفضل أخلاقه النبيلة[٣]، لذلك يقول الشاعر (ابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ))[٤] في يوم توليه الحكم[٥]:[المجتث]

بَـــــدا الهـــــلالُ جَديـــــداً والمُلـــــكُ غَـــــضٌّ جَديـــــدُ

يـــــا نعمـــــةَ اللهِ زِيـــــدي مـــــا كـــــانَ فيـــــكِ مَزيـــــدُ

[إن كـــــانَ للصَّـــــومِ فِطْـــــرٌ فأنـــــتَ للـــــدَّهْرِ عيـــــدُ]

إمـــــامُ عـــــدلٍ عَلَيْـــــهِ تاجـــــان : بـــــأسٌ وجـــــودُ

يـــــــومَ الخَمـــــــيسِ تَبَـــــــدّى لنـــــــا الهِـــــــلالُ السّـــــــعِيدُ

فكـــــــلُ يـــــــومِ خَمِـــــــيسٍ يكـــــــونُ للنّـــــــاسِ عِيـــــــدُ!

وظّف الشاعر لفظة (الهلال) تشبيهاً وفألاً حسنًا بالحاكم الجديد، ويعلن عن خلافة جديدة وكأنه يعلن عن قدوم شهر جديد مبارك (رمضان) ليستبشر الناس به خيراً تكفيراً للذنوب والخطايا، كما أنه وظف حرف النداء (الياء) والدعاء لله بالنعمة التي أوردها لهم، كما يفعل الصائمون أثناء التعبد والتهجد لله وحده، هذا ما تضمنته الأبيات الشعرية ظاهرياً، لكن محتواها الداخلي لا يوحي بهذا الشيء؛ لأن الشاعر لا يستبشر بـ(حاكم) جديد فقط، بل أنه أستخدم أدواته التعبيرية لإعلان هويتهم الجديدة والفخر بها، كما وردت لفظة (جديد) لتدل على الحاكم والحاكم ليس بجديد[٦]؛ لأنه مسار متبع لحكم الأمويين للأندلس .

كما أنه تنبأ باستقلال الأندلس ثقافيًا، واقتصاديًا، وسياسيًا، وهذه مزية دلت عليها هوية الخليفة الجديد لتطلعاته مستقبلية، وأن العبارات المرتسمة تدل بظاهرها على فرحة الشاعر (العيد، الفطر، السعيد) إيحاء باللسان الجميع على لسان الشاعر مما نالهم من بهجة وسرور جراء التقلد للمنصب الرياسي، المقصدية حاضرة في توظيف ألقاب الخلافة بوساطة الألفاظ (إمام، التاج) ليبرز هوية الخليفة ليكمن في مضمرها نسق السلطة والقوة بوساطة تلك المدة المضطربة .

كان الناصر يقوم بالوساطة بين جده (عبد الله) الذي أشتهر بين الناس بالعنف والبخل، حتى نفر منه الناس ولم يبقَ قريبًا منه إلا هو، ويقال إن الذي جعل أعمامه ينصرفون عن تولي زمام أمور الأندلس ومنافسته هو شعورهم بأن منصب الأمير كان منصباً مثقلاً بالمتاعب والأخطار والمسؤوليات وأن نار الفتنة تشتعل حتى أصبح منصب الأمير منصبًا لا يُحسد عليه صاحبه[٧]، لذلك يقول[٨]: [البسيط]

والحربُ لو علمتْ بأساً تَصولُ بهِ ما هيّجتْ من حُمَيّاك الذي اهتْاجا

مـــاتَ النّفـــاقُ وأعطـــى الكفْـــرُ ذِمَّتـــهُ وذلّـــــت الخَيـــــلُ إلجامـــــاً وإســـــراجا

وأصـــــبحَ النّصـــــرُ مَعقـــــوداً بألويـــــةٍ تَطـــــوي المراحـــــلَ تهجيـــــراً وإدلاجـــــا

أدخلـــتَ فـــي قُبّـــةِ الإســـلامِ مارِقـــةً أخرجْتَهـــا مـــن ديـــارِ الشِّـــركِ إخراجـــا

الفتنة وبوادر الحرب هما سيدا الموقف في هذه الحقبة، مراد الشاعر علاقة ربط الأثر بالنتيجة لبيان هوية الخليفة الجديد بوساطة توظيف السياقات الإيحائية الدالة بمضمرها على اضطرابات العصر بوساطة الألفاظ (الحربُ، النفاقُ، الكفْرُ، الشِّركِ) الذي يسود المجتمع بفوتوغرافية بارعة لشمولية الحالة السائدة، مضمار هوية الخليفة وبداهة العقل تكمن في سياق النتيجة اللاحقة التي تعد مقصدية الشاعر في إظهارها بوساطة (ماتَ النفاقُ وأعطى الكفْرُ ذِمَّتهُ) مراد المادح والممدوح في إطفاء هوية المخالفين الذين سادوا خرابا في البلاد بحسب مضمر الشاعر. كما ان هيمنة هوية الخليفة سائدة في السياق الثقافي (وأصبحَ النّصرُ مَعقوداً بألويةٍ) الدالة بمضمرها على حنكة الخليفة في إدارة البلاد مع براعة التوظيف في صياغة الألفاظ (أدخلتَ، أخرجْتَها) التي دلت بمجملها على هيمنة هوية الخليفة على العصر الرائد في مواجهة الأخطار الغادرة، أما ما يتعلق (ماتَ النفاقُ)،(وذلّت الخَيلُ) ردع الخطر الداخلي الدال على ماهية ذروته في إحالة العصر إلى الركود والدمار هو منال الخليفة في إزاحة جذوره للوقوف على هوية العصر الجديد .

على الرغم من صغر سنه إلا أنه قد تولى أمر الخلافة وقد ساعده في ذلك حزمه، وذكاؤه، وشجاعته، إذ كان محبًا للصلاح وحريصًا، قاد الجيوش بنفسه، وانزل العصاة من حصونهم لشجاعته بالسيف أحيانًا و بسياسته الحكيمة حينًا آخر، عفا عمن طلب الأمان وعاد إلى طاعته، أحبه رعيته واخلصوا له، وكان قدوة لهم لذلك استطاع أن يقضي على المناوئين ويعيد للأندلس وحدتها ومكانتها، وان يواجه الثورات الداخلية التي كادت تقضي على حياة الأندلسيين جميعاً[٩] . كما أن روح المحبة، وصفاء الحكمة، وحسن التعامل، وتدبير الأمور

التي ارتسمت بها هوية (عبد الرحمن الناصر) هي ممهدات أسهمت في مساعدته لترسيخ روح المحبة في نفوس ذلك المجتمع العربي المسلم، لذلك يقول[١٠]:[البسيط]

تمــلا بــكَ الأرض عــدلاً مثــل مــا مُلئــتْ جَــــوراً وتُوضـــحُ للمعـــروفِ مِنهاجـــا

التأكيد على إبراز هوية الخليفة في مرجعياته الثقافية هو المضمار والغاية التي يرغب بإظهارها الشاعر بوساطة (منهاجا) النابعة عن سمة هوية الحاكم والناتجة عن العدل والمساواة في حسن التعامل فضلا عن الرخاء والعلو الذي نعمت به بلاد الأندلس أبان تلك الحقبة . لذلك يرى (د.شوقي ضيف) أن أبان حكمه نعمت البلاد بالرخاء والأمن، قائلاً:((ولم تكد تدخل سنة (٣١٨هـ) حتى كان الغرب كله قد استسلم، وأسلمت طليطلة[١١] وجميع البلدان في إقليمها، وبذلك محا (عبد الرحمن الناصر) فكرة الثورة في الأندلس وعاشت في أمن ورخاء، وأخذت السنوات الأولى من حكمه تفرض هيبته على من جاوره من المسيحيين الأسبان في الشمال وأذعنت له بالولاء مملكتا الجلاقة والقشتاليين واتخذتا منه الحكم المطاع فيما ينشأ بينهما من خلاف، وفزع إلى سدتة ملوكها وأمراؤها يلتمسون رضاه وطار صيته في أوربا))[١٢]. كانت مزاولة الشاعر في توظيف إدارة الخليفة لحكم البلاد مسعاه في مرجعياته الشعرية لسياق مضمر يكنه في جوف الأبيات لغاية بحصر أمر الخلافة لذات العائلة الأموية .

كما أشاد كثير من العلماء بدور الحاكم الجديد ومنهم المقري واصفاً الخليفة بالهيبة والقوة، واستطاع أن يرضخ المخالفين الغربيين، قائلا:((أن ملك الناصر بالأندلس كان في غاية الفخامة ورفعة الشأن وهادته الملوك وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم و الإفرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة داعية في موادعته))[١٣]. دلالة على هيبة هوية الخليفة وعظمتها حتى أنه تقلد بألفاظ الخلافة قبل ان يرسمها هو لذاته، الوصف الكامن في جوف المرجعيات الثقافية التي دلت على هيبة الحاكم الجديد الذي تتطلع لها الأندلس لإنقاذها من دار الفتن والحروب التي

هتكت مرتكزات البلد وعّرضته للضياع والتدهور مما أسهمت في بناء حاكم يرسم للعصر هويته وهيبته .

نسق الحرب وممهداتها لقيام دولة الأندلس:

رسخ (ابن عبد ربه الأندلسي) نسق الحرب في مبادئ شعره بسبب الظرف الراهن الذي تولاه الشاعر منذ بدء حياته نتج عنها الكثير من مآثر الحروب والفتن التي نالت عصره، كما ان التأييد الحاصل في تأييد هوية (عبد الرحمن الناصر) وإدارة حكمه وتطلعه لإنشاء دولة مستقلة جعل ذلك مضمونًا يتولاه الشاعر بترسيخه في معترك أبياته الشعرية من مدة (٣٠٠هـ إلى ٣١٦هـ) للقضاء على الهويات المناهضة لحكمه التي مثلت مشهد الدمار والخراب على حد وصف الشاعر .

لذلك كان على الحاكم رسم خطة للقضاء عليهم والتمهيد لإعلان الهوية الأندلسية ((اضطلع عبد الرحمن الناصر منذ اليوم الأول الذي تولى فيه الحكم، بالمهمة التي تنتظره بكل مالديه من الجديَّة، ورأى أن التردد والرفق اللذين اتبعهما أجداده نحو الثائرين، كانت سياسة خطرة ولم تكن ناجحة، وأنه لا بد لاستتباب الأمن، من سحق الثورات والقضاء على زعمائها))[١٤] وهذا ما حصل بالفعل وما رسخه الشاعر في مضمون أبياته، إذ نراه يقول[١٥]: [البسيط]

فَصــلتَ والنّصــرُ والتّأييــدُ جُنــداكا والعــــزِّ أُولاكَ والتّمكيـــــنُ أُخراكـــا

ورحمــةُ اللهِ فــي الآفــاقِ قــد نُشِــرَتْ والأرض تُبـــدي تَباشـــــيراً لمبـــداكا

إنّ قبول المنهاج المرتسم من قبل ذات الحاكم منح الشاعر بداهة القبول والتأييد لهوية الحاكم الجديدة بسعة الشمول والتحدث بلسان الجميع بوساطة توظيف الألفاظ الدالة على ذلك (التأييد، العز، التمكين، التبشير) وهذه كلها نتاج (لمبداكا) الدال بمضمرها على الطريقة السليمة التي يخوضها الخليفة للقضاء على الهويات المخالفة ليعود للأندلس كيانها وهويتها بعد صراع دام أكثر من قرنين نتج عنه ركود المجتمع بمختلف المستويات الثقافية، وفي

القصيدة ذاتها نراه يواصل ما بدأه الشاعر في السير على المنهاج المتبع ومواصلة الأمر، إذ يقول[١٦]: [البسيط]

يَمضـــي أمامَـــكَ نصـــرُ اللهِ مُنْصَـــلِتاً بـــالفتحِ يقصـــمُ مَـــنْ فـــي الأرض ناواكـــا

والنّـــاسُ يَـــدعونَ والآمـــالُ راغبـــةٌ والطَّـــوعُ يرجـــوك والعصـــيانُ يخشـــاكا

البوح بتطلعات المجتمع الأندلسي بالمستقبل الجديد هو مضمون قصيدة الشاعر وهي بمضمرها خطاب شامل دالّ على توجهات أهل الأندلس (الآمال راغبة) وتصوير الواقع الأليم الذي يعيشه فئات المجتمع، كما ان رغبتهم بالتخلص من ضغوطات الحرب وأثارها مكّن الشاعر من توظيف (والطوع يرجوك) التي تعود إلى أهل الأندلس أكثر مما هي عليه إلى جند الخليفة بحملها مضمار التوسل والدعوة إلى النجاد، والسياق العام في مضمر القصيدة يوظف بوساطة (الفتح) وهي الدعوة إلى النصر وإنشاء مستقبلهم الواعد وأن يعم السلام والاستقلال في بلادهم الذي هو رغبة كل فرد في بلاد الأندلس . توظيف المعارك المؤثرة في تغير المنهج السياسي لعصر الخلافة هي أكثر تناولا في أبيات الشاعر الشعرية وها هو يبدأ بذكر معركة كان لمنالها تعزيز هوية الحاكم وعصره بالتطلع إلى مستقبل مشرق، إذ نراه يقول[١٧]:[البسيط]

فـي غَـزوةٍ مِائتـا حِصـنٍ ظفـرتَ بهـا فـي كـلّ حصـنٍ غُـواةٌ للعناجيـجِ

مـا كـان مـلكُ سُـليمانٍ ليُـدركها والمُبْتَنـي سـدَّ ياجـوج ومـاجوجِ

السياق المتعالي في ذكر هوية الخليفة مضمرًا مقصدية يرسخها الشاعر في مضمون أبياته الشعرية بوساطة توظيف الهويات الراسخة في التاريخ (سليمان، ذي القرنين) للدور الرائد في تغير مجرى الحياة والحفاظ على هويتها من الضياع في ظل تواري الأعداء، براعة يكتنفها الشاعر ليخلد في مضمرها نسق البطولة لإعلاء هوية الممدوح في تصوير نسق الحرب لدحر الهويات المخالفة التي تكمن خلف هذا الحصن، إذ يصفها الدكتور محمد رضوان الداية ((ملجأ لذوي الخلاف والمعصية))[١٨]، دلالة النسق توحي بهيمنة المخالف مع التأكيد على

شراسة العدو وهيمنته في ربوع الأندلس ليعزز بذلك هوية الخليفة في دحض هذا التسلط الجائر واضمحلاله .

وكان توظيف مبادئ المنهاج التي صاغها الخليفة لرسم هوية العصر بوساطة القضاء على الثورات والفتن التي جابت العصر وبدور منالها في القضاء على الحاكم والحكم لغاية يتناولها الأعداء، لذلك يقول الشاعر[١٩]: [الكامل]

الحـــقُّ أبلَـــجُ واضـــحُ المِنْهـــاجِ والبـــدرُ يُشـــرِقُ فـــي الظّـــلامِ الـــدَّاجي

والسّـــيفُ يعـــدِلُ مَيـــلَ كـــلّ مخـــالِفٍ عميَـــتْ بصـــيرَتُه عـــنِ المِنْهـــاجِ

وإذا المعاقـــــلُ أرتجـــــتْ أبوابُهـــــا فالسّـــيفُ يفـــتحُ قُفْـــلَ كـــلّ رِتـــاجِ[٢٠]

مواصلة الشاعر في توظيف مرتكزات هوية الخليفة ودلالتها في الوضع الراهن وأنها الطريق لإنقاذ الهوية الأندلسية من الضياع والاضمحلال جراء الفتن وكثرة المخالفين معبرًا عنها في (والبدر يشرق في الظلام الداجي)، ودلالة (السيف) ناتجة عن ظرف الوضع الراهن وعدم تقبله للحلول الأخرى المتمثلة بالمعاهدات وما يماثلها، وتكرار اللفظة في البيت الثاني الدال بمضمرها على قبول المجتمع بالحلول التي يرسمها الخليفة لإنقاذ الموقف جراء سوء حالة العصر والذهاب إلى إنشاء دولة أندلسية خالصة . كما ان دلالة (المنهاج) هو مضمر الطريقة التي يرسمها الخليفة لإعلان دولة تضمن للأندلس كيانها ووحدتها بعيدة عن المنازعات وتشتت ربوعها مما يضعف هيبتها وأركانها.

إنّ براعة الشاعر في تصوير الملاحم المؤثرة بوساطة سياق الألفاظ لبيان ماهية الخليفة في إدارة البلاد سياسيًا من جهة وقيادة الحرب وجلب النصر المؤزر من جهة أخرى كلها دلائل مضمرة تعبر عن حنكة الخليفة لتكسي هويته العلو والرفعة، إذ يقول[٢١]:[الكامل]

نَشـــرَ الخليفـــةُ للخِـــلافِ عَزيمـــةً طَـــوت البـــلادَ بجحفَـــلٍ رَجـــراجِ

جيـــشٌ يلـــفّ كَتائبـــاً بكتـــائبٍ ويضـــمُّ أفواجـــاً إلـــى أفْـــواجِ

وتـــراهُ يأفِـــرُ بالقنـــابلِ[٢٢] والقَنـــا كالبـــحرِ عنـــدَ تَلاطُـــمِ الأمْـــواجِ

متقــاذفُ العِبْــرَين تخفــقُ بالصــبَّا رايـاتُـــــــهُ، مُتـــــــدافِعُ الأمْـــــــواجِ

المركزية في ترسيخ مبادئ الهوية وسعة شموليتها لتطوي ربوع الأندلس من أجل تحقيق ماهية العصر والمنهاج المرسوم له (طوت البلاد) دلالة على نسق الاتساع، مع مراعاة توطين مبدأ التنظيم التي صاغتها هوية الخيلفة لتدل على دهائها وذكائها بوساطة (جيشٌ يلفّ كَتائباً بكتائبٍ) مع مراعاة النصر المحقق ولا رجوع فيه يكمن بوساطة الترتيب والمتابعة في إدارة الحرب التي يسعى فيها إلى هوية الخليفة توظف في (ويضمُّ أفواجاً إلى أفْواجِ) مع براعة فوتوغرافية الشاعر في تصوير مشهد التلاقي في البيت الثالث والرابع وهو نتاج المنهاج المتبع في ترسيم مفاتن الحرب والمتابعة في سير مجراها نتج عنها قول الشاعر[٢٣]:[الكامل]

ونجـا ابـنُ حفصـونٍ ومـن يكـنِ الـرَّدى والسّيْـــفُ طالبَـــهُ فلـــيسَ بنـــاجِ

فـــي ليلـــةٍ أسْـــرَتْ بـــهِ فكأنّـــما خيِـــلتْ لديـــهِ ليـــلةَ المِـــعْراجِ!

ليس مراد الشاعر توظيف مشهد هروب (ابن حفصون)[٢٤] الذي نالت سطوته زمنا على قلاع الأندلس والغوص في مظالم أهلها فحسب، بقدر ما هو إعلان عن مبدأ ترسيخ الهوية السياسية الجديدة التي يرسم لها الخليفة والتي تكمن نتاها بهروب هوية المخالف وإحلال الهوية الجديدة بدلا عنها (ونجا ابن حفصون) مع مبادرة توظيف جانب الاستهزاء في مشهد اضمحلال هوية المخالف وهرب قائدها بوساطة (خيِلتْ لديهِ ليلةَ المِعْراجِ) الدال بمضمرها على سرعة الهروب وبداهة الخليفة في إدارة الحرب، والمعالجة الفعلية لإعلان الهوية الأندلسية هذا جانب، وإبراز الموروث الثقافي الديني الذي يكنه الشاعر في جوفه من جانب آخر .

وإنَّ توظيف نسق الحرب في ثنايا الموضوعات الأخرى مرتسم للشاعر في اقتناص اللحظات ليبث فيها رغباته مضمرا التي بدورها تعبر عن فحوى تقلبات العصر ومآثره ونتاج الحرب التي يرسمها الشاعر منواله الجديد فها هو يهنئ الخليفة بمولوده الجديد، إذ يقول[٢٥]: [الطويل]

هِــلالٌ نمــاهُ المجــدُ واختــارهُ الفَخْــرُ تلقّــتْ بــه شــمسٌ وأنجَبَــهُ بَــدرُ

علــى وجهْــهِ ســيما المَكــارمِ والعُــلا فضَــاءتْ بــهِ الآمــالُ وابْــتهَجَ الشّــعْرُ

ســلالةُ أمــلاكٍ ، ربيــبُ خَلائِــفٍ أكُفُّهــم بَحْــرٌ ، ونائِلــهم غَمْــرُ

تنبأ الشاعر بهوية المولود وذلك بوساطة مرتسمة يكنها في مخيلته وهي أقرب إلى التنجيم والتنبؤ بالمستقبل الموعود له، ثيمة الهوية باتت منالًا محققًا كما عبر عنها الشاعر في ظاهر أبياته الشعرية إلا ان مضمر الألفاظ (العلا، الفخر، المكارم، الآمال) ليست مزية المولود الجديد فحسب بقدر ما هي تطلعات المجتمع الأندلسي في تحقيق ما تم ذكره ليعزوا أهلها بالعلو والرفعة بحسب ما مرت به البلاد من سوء الأوضاع نتيجة الصراع الدائم بين الهويات الأندلسية، فهي أقرب إلى المخاطبة في طلب الإنقاذ الموجه إلى (عبد الرحمن الناصر) لتوصيل الأندلس وأهلها إلى بر الأمان، علمًا أنَّ زمن مولد الحكم هو (٣٠٢هـ)[٢٦] أي في حقبة الصراع مع الهويات المخالفة العربية منها والأعجمية وان زمن كتابة القصيدة لا يعدو ذلك، ونراه في القصيدة ذاتها يقول[٢٧]:[الطويل]

هَنيئــاً إمــامَ المُســلمينَ عَطِيّــةً حبــاكَ بهــا ربٌّ لــهُ الحمــدُ والشّــكرُ

فيــا مَــنْ كَســاهُ اللهُ تــاجَ خِلافَــةٍ ومَــنْ جــودهُ قَطــرٌ إذا أعــدم القَطْــرُ

التركيز على السياق الثقافي (الديني) في توطيد أركان الخلافة لذات الحاكم هي غاية يودعها في مضمر أبياته وهي مناسبة للوضع الراهن في فعلته لدرء الفتن والمناهضين لحكمه لتقوية الهوية الحاكمة ومركزيتها، كما أن مركزية الشاعر في تقليد هوية الحاكم بألفاظ الخلافة بوساطة (إمام المسلمين، تاج الخلافة) ليدل بمضمرها على جهوزية الحاكم في تقليد الحكم للأندلس مع إيحاء بدلالة نسق الخَلاص من الشرك والفتن بدلالة (الحمد والشكر) التي يوحي نسقها المضمر بمركزية النجاد والثناء لله بالدعاء والتبجيل لهذه العطية (الهبة) .

إنَّ مواكبة الحدث والأخذ بالموضوعات الحربية غاية يرسمها الشاعر في مضمون أبياته معبرًا عن توالي السلطات ومآثر التنازع السياسي التي بدورها تؤدي إلى ركود المجتمع

وصيرورته إلى الطبقات الدنيا على مختلف المستويات ورغبة الشاعر بهوية حاكم تلبي طموحات المجتمع ورغباته متمثلة بالخليفة الناصر، إذ يقول(٢٨): [البسيط]

يا ناصرَ الدينِ هذا النّصرُ قد نَزلا وأخمد اللهُ كُفراً كانَ مُشتَعِلا

حكتْ حُنينا وبَدراً وقعةٌ نزلتْ بالمشركينَ أراحَتْ منهُمُ السُّبلا

لّما أحاطَ ابنُ إلياسٍ بهمْ يَئِسوا من الحياة ، وعيضوا الحتفَ والهبلا!

إنَّ تعزيز المرجعيات التاريخية في تركيز هوية الممدوح مقصدية في مضمون أبياته الشعرية بوساطة توظيف نسق الحرب (بدر، وحنين) لما لها من أثر كبير في تغير المسار التاريخي للمسلمين، كما عمد إلى ذكر مفاتن المجتمع مع بيان مضمرها بوساطة (وأخمد اللهُ كُفراً كانَ مُشتَعِلا) ونتاج الحال بعد نسق الحرب لبيان هوية الخليفة في إدارة السلطة وتقوية مضمونها . بعد سياقات الحرب ومآثر الانتصار بات الأمل منالًا محققًا وأمام مرأى الأندلسيين بدأ شعراؤها بالتبجيل والتهليل بالفرح القادم وتصدير النفس وتعزيزها بالثقة بعد عناء طويل نرى يصور لحظات ذلك المفصل التاريخي، فيقول(٢٩):[الرجز]

فالحمْدُ للهِ على نَعْمائِهِ حَمداً جَزيلاً على آلائِهِ

وبعدَ حَمْدِ اللهِ والتّمجيدِ وبعدَ شُكر المبدئ المُعيدِ

سياق النص الذي تكنه هذه الكلمات دلالة الرخاء بنعمة السلام التي رغبت بها المجتمعات الأندلسية أكثر مما دل عليها ظاهرها في الثناء لله بتولي الحاكم لحكمه، المبالغة في التبجيل الذي حوته هذه الأبيات تدل بمضمرها على الاضطراب الداخلي لهوية الشاعر جراء حداثة الأمر بما تمناه ورغب به ناتجة عن التكرار في صياغة المعنى الذي يدل سياقها على الفرح المجمل الذي عاشها أهل الأندلس بسعة شمولية الخطاب المصوغ على لسان الشاعر بالحديث المجمل وما صوره بدقة متعالية أجواء نسق الحرب ومفاتنها لذلك يكمل في القصيدة ذاتها ويقول(٣٠): [الرجز]

أقولُ في أيّامِ خَيرِ النّاسِ ومن تَحَلّى بالنّدى والباسِ

ومَـــنْ أبـــادَ الكُفْـــر والنفّـــاقا وشَـــرَّدَ الفِتْنَـــةَ والشّقاقـــا

ونَحْـــنُ فـــي حَنـــادسٍ كاللّيـــلِ وفِتنـــةٍ مثـــلِ غُثـــاءِ السّـــيلِ

حتـــى تَـــوَلّى عابِـــدُ الرّحـــمنِ ذاكَ الأغـــرُّ مـــن بَنـــي مـــروانِ

الاضطراب الداخلي لهوية الشاعر يلحظ بسهولة جراء تعدد الموضوعات المضمرة التي تحويها الأبيات الشعرية التي أراد بمجملها بيان هوية الحاكم بوساطة تسويف الماضي وإلحاقه بالحاضر ودعواه لمستقبل واعد يكنه بوساطة (وفِتنـةٍ مثـلِ غُثـاءِ السّيلِ) في وصف الوضع السابق جراء تقلبات السياسية التي عاشها المجتمع الأندلسي نتيجة الخلاف، ومركزية الهوية لذات الحاكم حاضرة بمضمر الحكمة والدهاء والقوة في (وشَرَّدَ الفِتْنَـةَ والشّقاقـا) والدالة (شرد) هروب الأعداء وعدم اضمحلال هوياتهم بشكل كامل وهذا ما سنلحظه بظهور هويات المخالف بعد رحيل الحاكم وما نتج عنها من أطماع وحتى وان ظهر بهوية مخالفة جديدة . أما فيما يخص البيت الأخير بذكر الاسم الصريح (عبد الرحمن) فهو أقرب إلى الفخر في تمكين بلاد الأندلس لقائد جديد يعّزز أهلها بتوالي الانتصارات داعية لعهد جديد يرغب به الشاعر والمجتمع الأندلسي في آن واحد وهو يحمل في مضمره خطابًا للمخالف الحاقد والحاسد على وجه الخصوص اللذين نصبا العداء لهوية الحاكم نفسه .

إعلان الهوية السياسية لبلاد الأندلس:

في عام (٣١٧هـ – ٩٢٩م) أعلن (عبد الرحمن الناصر) نفسه خليفة للمسلمين وانقطاع حكم الخلافة في الأندلس عن بغداد[٣١]، وهذا يعني أن مدة حكمه تنقسم على قسمين، هما:-

أ- بلغت عشر سنوات في نهاية عصر الإمارة .

ب- بدء مدة حكمه منذ إعلان استقلال بلاد الأندلس، لذلك فهو يعد أول خلفاء عصر الخلافة والبدء بعصر جديد. إذ يقول (ابن عبد ربه الأندلسي) في يوم تقلده البيعة[٣٢]:[البسيط]

قـــد أوضَـــحَ اللهُ للإســـلامِ مِنهاجـــا والنّـــاسُ قـــد دَخَلُـــوا فـــي الـــدِين أفواجـــا

وقـــد تزيّنـــتِ الـــدُنْيا لِســـاكِنِها كأنَّمـــا أُلْبِسَـــتْ وَشـــيْاً ودِيباجـــا

يـا ابـنَ الخَلائـفِ إنَّ المُـزنَ لـو علمـتْ نَـداك مـا كـان منهـا المـاءُ ثجّاجـا

السياق العام مدح مبجل لهوية الحاكم إلا ان مقصدية الشاعر بيان مرتسم لخلافة الحاكم المساقة على وفق النسق الثقافي (الديني) في بيان ماهية الهوية التي يحملها الخليفة بوساطة عنها بمضمار (قد أوضَحَ اللهُ للإسلامِ مِنهاجا)، الإدارة السليمة في إدارة شؤون البلاد والمرتسمة من قبل الخليفة ذاته هي نتاج (والنّاسُ قد دَخَلُوا في الدين أفواجا) عائداتها إلى المجتمع الأندلسي لبيان هوية جديدة بعد ضياع وخلاف طال لسنوات عديدة، مقتبسة لذات الهوية الإسلامية في مراحل ظهورها وتكوينها لبدء عصر إسلامي جديد ونهاية العصر الجاهلي .

يرى الباحث ان مراعاة الشاعر في إظهار هوية الخيلفة بسابق عهدها مزية تطغى على ترصين الحكم لذاته بوساطة (يا بنَ الخَلائفِ)، أي أن تولي الحكم لشخص (عبد الرحمن الناصر) ليس بالصعوبة التي وصفها الدارسون؛ لأن (عبد الرحمن الناصر) يندرج من أسرة حاكمة ولها خلفية واسعة عن تولي أمور شؤون البلاد، ثبت ذلك بوساطة ما كتبه المؤرخون وما صوروه لنا من عصر مزدهر ينعم بالرخاء والرفاهية بالإضافة إلى الجانبين الاقتصادي والثقافي المزدهرين أبان مدة حكمه . كما ندرك ان هوية (عبد الرحمن الناصر) عربية أموية خالصة، فليس من الغريب ان نلحظ إعلانه عن تأسيس دولة مستقلة لها كيانها الخاص في إدارة شؤون البلاد .

إنَّ توظيف مهارة الهوية التي يقننها الخليفة الجديد للإعلان عن هوية العصر السياسي وحصر الخلافة لذاته هو فحوى قصائد (ابن عبد ربه) ومضمون أبياته بظاهرها ومضمرها، لذلك نراه يقول(٣٣): [البسيط]

إن الخلافـة لـن ترضـى- ولا رضـيتْ- حتـى عَقـدتَ لهـا فـي رأسِـكَ التّاجـا

سياق النص (في رأسِكَ التّاجا) دلالة إيحاء لإعلان هيكلة الدولة وليست إمارة تابعة إلى الشرق وتنصيب الملك لها بوساطة دلالة التاج الملكي هو سياق العمل اللاحق الذي يرسم له الخليفة الحاكم وتنُبؤُ الشاعر بالمستقبل الواعد، دلالة القطع في إظهار هوية الخليفة يكمن في جزم الخلافة له وهي الحاجة الفعلية التي يرغبها المجتمع الأندلسي بعد مرارة المذاق الجاثمة على صدورهم منذ الفتح بوساطة (إن الخلافة لن ترضى- ولا رضيتْ) يدل مضمرها على جزم إعلان الهوية الأندلسية لعصر الخلافة وربطها بهوية الحاكم الجديد الذي دلت على هيمنتها وتطلعاتها للمستقبل الذي يرغب به كل فرد أندلسي .

إنَّ مواصلة الشاعر في ذكر يوم البيعة (يوم الخميس) دلالة على هبة اليوم لتطلعاته المستقبلية تكنه هوية الخليفة في مضمرها ليحاول الشاعر وضع مزية على ماهية البيعة لتجانس بمحتواها الداخلي الزمكانية التي بدورها تجسد ملامح هوية جديدة، لذلك يقول(٣٤):[البسيط]

يا مَنْ عليهِ رداءُ البأسِ والجُودِ من جود كفّك يجري الماءُ في العودِ

لما تطلّعتَ في يوم الخميسِ لنا والناسُ حولك في عيدٍ بلا عيدِ!

وبادرتْ نحوكَ الأبصارُ واكتحلتْ بحُسْنِ يوسفَ في مِحرابِ داودِ!

تقليد الخليفة بألفاظ الخلافة المرتسمة لسياق حال أي من الملك أو حاكم وذلك بوساطة توظيف مضمر الشجاعة والهيبة التي خص بها هوية الحاكم بوساطة (يا من عليه رداء البأس والجود) إنماز مضمرها بلفظة (الرداء) الدالة على لباس الخليفة أكثر من سياق الكرم الدال على لفظة (الجود)، مركزية المكان حاضر إلا ان الهوية المكانية حاضرة بمسبقها الدالة على نسق التطلع إلى خلافة تنال بمضمرها تطلعات المجتمع الأندلسي وذلك بوساطة (وبادرت نحوك الأبصار واكتحلت) . كما عبرت لفظة (الأبصار) عن طموح الأندلس إلى مكانة رفيعة تحفظ لها هويتها من الذوبان والانصهار مع الهويات الأخرى مع مراعاة التشبيه لتطلع النسوة لجمال سيدنا يوسف (عليه السلام) والصوت العذب لسيدنا داود (عليه السلام)

الدالة على الدهشة في تنفيذ واقع الخيال المرتسم في أذهانهم وذهن الشاعر برفق علامة التعجب في البيتين السابقين، إلا ان هوية الحاكم وحزمه لسيادة مجتمع راسخ جعلت الشاعر يعبر عنها باللفظة (تكحلت) التي تدل دلالتها النسقية على رضا وقبول المجتمع لمنهاج يصوغه لهم الحاكم الجديد لبناء مستقبلهم الواعد .

إذن تأسس عصر الخلافة على أيدي رجالات أموية خالصة، وأن عصر الولاة كان قد أسس أيضاً على نفس النمط بـ(أيادي أموية) (٣٥)، لذلك سميت مدتي (عصر الولاة وعصر الخلافة) بالعصر الأموي، وهي مدة زمنية تقابل فترة الحكم العباسي في المشرق العربي . كما يعد (عبد الرحمن الناصر) واضع أسس الهوية السياسية، أستطاع ببداهته وذكائه أن يرضخ هويات المخالف العربي والغربي، وأن يوحد بلاد الأندلس سياسياً، وثقافياً، واجتماعياً ونراه ذا هوية مركبة (مزدوجة)، من جانب كسب حب الناس عن طريق التعامل الحسن معهم، وزرع روح المحبة بين الأندلسيين، ومن جانب الشدة والقسوة لكل من أراد بالأندلس وأهلها سوءً .

توفى (عبد الرحمن الناصر) في الثاني من رمضان (٣٥٠هـ / ١٥ أكتوبر ٩٦١م)، وكان قد بلغ الرابعة والسبعين من عمره، وكان قد كتب بخط يده:((أيام السرور التي صفت لي دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا، فعُدّت تلك الأيام فوجد فيها أربعة عشر يوماً))(٣٦) . يحلل الدكتور(سامي يوسف) هذه المقطوعة ويستنتج أنها تدل على أنه لم يقعد عن الجهاد وأنه لم يأل جهداً من أجل تحقيق توحيد بلاد الأندلس والحفاظ على أمنها واستقرارها(٣٧) . دفن بعد ذلك في رياض قصر قرطبة(٣٨) مع مقابر أمراء بني أمية الأندلسيين، دامت خلافته ما يقارب الخمسين عاماً من سنة (٣٠٠هـ) إلى سنة (٣٥٠هـ) ولم يكتب التاريخ الإسلامي حكمًا، وعصرًا زاهرًا مثل عصره وأن طول مدة حكمه هي التي ساعدته على أن يؤمن لبلاد الأندلس أمنًا واستقرارًا لم يعرفه ملوك الأندلس الذين سبقوه ولا الذين جاءوا بعده، حتى لقب عصره بـ(العصر الذهبي)(٣٩) .

<u>الهوية السياسية في ظل هوية الخليفة (الحكم المستنصر ٣٦٦هـ)(٤٠):</u>

انتقلت الخلافة بعد ذلك إلى ابنه (الحكم بن عبد الرحمن الناصر) في عام (٣٥٠هـ)، إذ بويع في حفل عظيم، وصفه الكثير من الشعراء وتناقلته الكتاب والأدباء مما يدل على أبهة المراسم التي جرت له[٤١] . كان كأبيه حازمًا ذكيًا محبًا للعلم والثقافة التعليمية التي سادت في ذلك المجتمع، المواصلة في كبح المخالفين وإخضاعهم للهوية الإسلامية مرتسم الخليفة وغايته إذ استطاع بحنكته وبداهته ان يخضع العديد من ملوك المسيح وقادتهم لسطوته[٤٢]، لذلك يقول (عبد الملك بن سعيد المرادي)[٤٣] في وصف أحد قادة ملوك المسيح[٤٤]: [الكامل]

ملـــــك الخليفـــــة آيـــــةُ الإقبـــــالِ وســـــــعودُه مَوْصـــــــولَة بتَـــــــوالي

والمســــــلمون بعِـــــزَّةٍ وبِرفعَـــــةٍ والمشـــــــركون بذِلّـــــــةٍ وسَـــــــفالِ

ألْقَـــتْ بأيـــديها الأعـــاجمُ نحـــوَهُ متـــــــوقّعين لصَـــــــوْلة الرّئْبـــــــالِ

النسق المضمر يكمن في مقصدية الشاعر في توظيف مفصل المعاهدة المصوغة من قبل القواد العرب والعجم، مركزيته مقامة على وفق إبراز هوية الخليفة مع عقد وصف للحالة الرائدة بين الحالة الوصفية التي تمتهن من قبل المجتمعين (العربي، المسيحي)، نتاجها مضمر لهوية الخليفة التي دلت على الهيمنة والقوة بوساطة (ملك الخليفة آية الإقبالِ)، مرتبطة بصحوة المجتمع العربي وتقوية هويته المركزية مما حتم على الشاعر عقد المماثلة وبراعة فوتوغرافيته في وصف الهويات المخالفة . إذ احتكم لدلالة الهوية العربية الأندلسية (العزة) سياقها شامل لهوية الحاكم، دلالة المخالفين تتضمن ضد الهوية السابقة التي اشتملت على (الذلة) بربطها بخضوع قائدها، مع بيان الحالة الموضوعية في طلب النجاة من هيمنة (الحكم المستنصر) بوساطة (الأعاجم نحوه) الدال بمضمرها على الخلاص من واقعهم الأليم التي دلت على رفعة الهوية الإسلامية في تلك المدة التي مثلها بشكلها الوصفي بوساطة تصوير الأحداث في مرجعياته التاريخية .

إنَّ المواصلة في ذكر مآثر الخليفة يعمد لمقصدية يتوخاها في مضمون أنساقه الثقافية لتقوية مركزية نسق السلطة بوساطة الجمل الدالة بمضمرها على فحوى الموضوع، لذلك نلحظ في قوله أيضًا(٤٥): [الكامل]

هـــذا أميـــرُهُمُ أتـــاه آخـــذاً منـــه أواصِـــرَ ذِمّـــةٍ وحِبـــالِ

متواضِـــعاً لجلالِـــهِ متخشّـــعاً متبرِّعـــاً لمّـــا يُـــرَعْ بقتـــالِ

ســـينال بالتأميـــل للملـــك الرّضـــى عِـــزّاً يعـــمُّ عِـــدَاهُ بـــالإذلالِ

عائدية الموضوع مبني على السلام على وفق صياغة يتبناها المخالفون في معاهداتهم، إلا ان الشاعر يرسخ في مرجعياته الثقافية على وفق صياغة يتبناها هو لذاته لغاية يكنها في نفسه تظهر بوساطة النسق المضمر الذي مكن في نسق الإذلال (هذا أميرُهُمُ أتاه) الدالة على فعل الاستهزاء والخضوع الكامن في اللفظة (أتاه)، كما عمد إلى توظيف ألفاظ تناسب فحوى الفكرة الكامنة في جوف الشاعر بوساطة الألفاظ (متواضع، خاشع، الرضى، الإذلال) إذ دلت بمضمرها على إبراز هوية الخليفة العربي الموحات إلى نسق كل من (القوة، والشجاعة، والهيمنة، والسيطرة) التي يحاول إظهارها لبيان حالة الهوية العربية السياسية لتلك المدة مع الإشادة للرد على المناهضين لذات الحاكم ودولته التي يعدها الشاعر من متسمات العصر ومركزيتها التي رسخت الجذور العريقة لهوية بلاد الأندلس .

كانت البهجة تغزو مراجع الشعراء في تولي (الحكم المستنصر) زمام الأمور ليدل في ظاهرها على القبول والرضا تجاهه ليواري الشاعر مضامين سياقاته الإبداعية بحفاوة تناسب فحوى الموضوع، ومن ذلك صاحب الشرطة (يعلي بن أحمد بن يعلي)(٤٦) إذ نراه يقول(٤٧):[السريع]

الحَمْـــدُ لِلـــه العلـــيِّ الكَبيـــرْ قَـــدْ ذَهَـــبَ [الغـــمّ] وَجـــاءَ السُّـــرورْ

وَابْـــتَهَجَ الـــدينُ وعَـــزَّ الهُـــدى واعْتَـــدلَ الملـــكُ وَضَـــاءَ البـــدرْ

وَعَـــادت الـــدنيا إلـــى حُسْـــنِها وانفـــرجَ الخطـــبُ الجليـــلُ الكبيـــرْ

وَانْكَشَـــفَ الإشـــفاق عَـــنْ أنفـــسِ أحرقهـــا الوجـــدُ وطـــولُ الزفيـــرْ

سياق النص (الحمد لله) تحمل في طياتها دلالة الارتياح الذي أذهب القلق والاضطراب الداخلي لهوية الشاعر بدلالة التقلد وتسلم السلطة إلى صاحبها، السياقات الثقافية (بتهج الدين، عز الهدى، اعتدل الملك، وضاء البدر، عادت الدنيا ... الخ) مضمر حنكة الحاكم في تولي زمام الأمور أراد الشاعر في توظيفها لتركيز هوية الممدوح وهي نتاج سابق بعد توليه إدارة البلاد، الشعور والارتياح وبث السرور ذات شمولية واسعة أراد بها وصف حالة المجتمع بعد تسلمه وعدم الرغبة في رجوع البلاد إلى سابق عهدها من فتن وحروب، وهذا ما حصل فعلًا في توجه البلاد إلى هوية ثقافة وحياة رغيدة نعمت بها الأندلس من رخاء ورقية لجوانب الحياة كافة .

المواصلة في وصف الحالة الرائدة بوساطة توظيف سياقات ثقافية تحمل نسق دلالاتها الظاهرة نعمتا الأمن والرخاء التي رغدت به البلاد، كما ان التكرار في ردود الفرح والفوتوغرافية في تصوير الواقع الاجتماعي في القصيدة ذاتها مقصدية يتوخاها الشاعر في متون أبياته، إذ نراه يقول(٤٨): [السريع]

وَغُـــرَّةَ السَّـــعْدِ التـــي نُورُهَـــا مُنْحَسِـــرٌ مـــنْ دونِـــهِ كـــلَّ نُـــورْ

قَـــدْ جـــدَّدَ الله حيـــاتي وَقَـــدْ أَخْرَجَنـــي مـــن بَـــيْنِ أهـــلِ القُبـــورْ

فَـــدُمْ عزيـــزاً يـــا إمـــامَ الهُـــدى فـــي عُمُـــرٍ مُســـتنفذٍ لِلـــدُّهورْ

فأنـــتَ ظـــلُّ الله فـــي أرضـــهِ وَغَيْثُـــهُ السَّـــاكبُ فيهـــا يَطيـــرْ

المبالغة في ذكر بهجته بوساطة (جدد الله حياتي) هو مضمر ذلك الاضطراب الذي عاناه الشاعر بالشكل الخاص والمجتمع الأندلسي بوجه العام من ويلات الحروب، كما ان توظيف

(إمام الهدى، ظل الله) يكن في جوفه ردود لمناهضي حكمه من الحاقدين والحاسدين بالإضافة إلى الثائرين بترسيخ النسق الديني الذي يعد من مركزيات تقوية نفوذ السلطة ليجل بها إلى هوية الحاكم ليواري فيها هيمنته على الحكم بسعة أكثر .

كما رسخ الشاعر (يحيى بن هذيل الأندلسي(٣٨٩هـ))[٤٩] في مضمون مرجعياته الثقافية ماهية هوية الخليفة التي عمد فيها إلى توظيف سمة الحاكم فيما يناسب فحوى الموضوع بتوطين مركز الخلافة الأموية وأتساع رقة الرخاء في ظل سطوته التي طالت المجتمع الأندلسي أبان تلك الحقبة، إذ نراه يقول[٥٠]: [الكامل]

يَـــا فُرْجَـــةً لِلْحَـــادِثِ المُتَكَشِّـــفِ ويـــداً يُضـــيقُ بِهَـــا الزَّمـــانُ وَيَشْـــتَفِي

عَـــمَّ الســـرورُ فكـــلُّ نَفْـــسٍ حَالُهَـــا فـــي حَـــالِ يعقـــوبٍ بِبُـــرْدَةِ يُوسُـــفِ

لَـــوْ كَـــانَ شَخْصـــاً لـــمْ يُعَـــادِلْ حُسْـــنَهُ حُسْـــنُ الربيـــعِ بزَهْـــرِهِ المُتَـــألفِ

وَلـــو اللّيـــالي صَـــوُّرت أَيِّامهـــا مِنْهَـــا لمـــا اتَّصَـــلَتْ بـــدَاجٍ مُسِـــرِفِ

فَـــرْحٌ فمـــا فـــي العـــالمين مُولَّـــهُ مـــن حُســـنِ موقعـــهِ اللّطِيـــفِ المُلْطِـــفِ

قَـــدْ لاحـــت الشَّـــمْسُ التـــي أضَّـــوَاؤهَا مـــن عْبـــد شَـــمْسٍ فـــي المحـــلِّ الأشْـــرَفِ

النسق الظاهر دلالة على البهجة المأخوذة جراء منهج الخليفة بتوطين مركزية الفعل بوساطة (يا فرجة للحادث) المسببة لفعل (عمَّ السرورُ فكلُّ نفسٍ) الشمولية التي يصورها الشاعر مضمر لهوية الحاكم في إدارة الدولة في درء المخالفين الذين سعوا الخراب لديارهم بحسب مضمره، كما أشار مضمرًا إلى هبة الهوية السياسية بتوطيد الموروث الثقافي (الديني) بوساطة (في حالِ يعقوبٍ ببُردةِ يُوسُفِ) دلالة على انفتاح البصير لهوية المجتمع الأندلسي للتطلع إلى مستقبل سياسي يكمن لذات المجتمع هويتهم من الذوبان في معترك هويات المخالفين مع

الإشادة بحسن التوظيف الديني المراعاة لقصة سيدنا يوسف (عليه السلام) والإشارة بفرحة سيدنا يعقوب (عليه السلام) الدالة على اقتناص فكرة البهجة لذات المجتمع الأندلسي .

كما قصد الشاعر في إظهار سمة هوية الخليفة التي أجملها بالألفاظ (الحسن، اللطيف، الفرح) توطيد سمة الهوية هي ذاتها ثيمة المجتمع آنذاك في تصوير مشاهد الرخاء والأمن الناتج من طبائع هوية الخليفة ذاته مع مشهد التصوير للأيام البهجة التي لاحقت سما الأفق (فرحٌ فما في العالمين) الشمولية والأتساع في نشر معالم الفرح إضمار لأتساع رقعة الحكم لهوية بني أمية والتي يحاول الشاعر تصويرها إضمارًا في ثنيات الأبيات ليتناسب مع نسق المدح المصاغ لهوية الخليفة .

لم يقتصر ذات المدح على هوية الممدوح بل تعداها إلى نسق القبيلة لربط السياق بأثر السابقين لبني أمية لتعزيز مركزية نسق السلطة المتدرج منذ الفتح الإسلامي لها دلالة على سلالة الخلافة لهم، إذ يقول(٥١): [الكامل]

يـا ابـنَ الخلائـفِ مـن لُبـابِ أميَّـةٍ والمُسْـــــتَقّل بعِـــــزِّهِ والمكْتَفِـــــي

عُوفيـتَ مـن كـلّ الأذى وَنَعِمْـتَ مِـنْ حُسْـــــنٍ وَصَـــــرفُكَ وادعٌ لـــــم يَعْنـــــفِ

تعزيز القصيدة بنسق القبلية بوساطة (يابن الخلائف) هو تعزيز لمركزية السلطة في ظل مآثر الفتن والحروب الثائرة على الخليفة، كما يعد تذكيرًا بنتاج الخليفة السابق (عبد الرحمن الناصر) وما أثر عنه من تأسيس هوية سياسية خاصة بأهل الأندلس ونتج عنها إعلان دولة مستقلة لها هويتها الخاصة دون الخضوع إلى هوية المشرق العربي مما يعزز في نفوسهم هيمنة القوة والسيطرة التي طالما حلم بها أهل الأندلس .

الاهتمام والسؤال عن مُوالي حكمه وقادته هي طبائع الخليفة (المستنصر)، إذ نقل المقري في كتابه المحاورة الشعرية التي جرت بين الخليفة وأحد ملوك أفريقيا ليسأله عن حاله بعد مشاهدته له، قائلًا(٥٢): [البسيط]

مـــا حـــالُ عينيـــكَ يـــا عـــينَ الزّمـــان فقـــد أوْرَثْتَنـــي حَزَنـــاً مِـــن أجـــلِ عينيكـــا

ولـــيس لـــي حيلـــةٌ غيـــرُ الـــدعاء فيهـــا ربِّ بـــــراوي الصـــــحيحين حنانيكـــــا

السمة التي تتمتع بها هوية الخليفة دلالة على شمولية الأتساع في المعرفة لكل شاردة منه حتى أنه بلغ به الاهتمام بهوية مواليه بالدعاء لهم بالسلامة الدائمة بوساطة (وليس لي حيلةٌ غيرُ الدعاء) مع الإشادة ببساطة هوية الخلقة بعدم الاحتيال وقلة الوسيلة، كما ان الاضطراب النفسي الذي ساد عن ضعف مناصره شاد به الحزن وارتفع الألم بوساطة (أوْرَثْتَني حَزَناً) ليكن في مضمرها على تحمل المسؤولية ودرء المخاطر عن كل من ناصره للدلالة على سمو رفعة الخليفة في تنفيذ مهامه على أتم وجه بحسب ما ذكر في الحديث الشريف :((**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**))[٥٣]متفق عليه . ليرد إليه سؤاله عن الحال والقلق الناشئ في صدره فيقول[٥٤]:[البسيط]

مـــــولايَ حالهمـــــا والله صـــــالحةُ لمـــــا ســـــألتَ فـــــأعلى الله حاليكـــــا

مـا كـان مـن سـفرٍ أو كـان مـن حضـرٍ حتـــى تكـــونَ الثريّـــا دون نَعْليكـــا

الملحظ على سمة الرد من هوية المخالف دلت على هبة الخليفة مضمرًا بوساطة لفظة (مولاي) دلالة سمو ورفعة، الإشادة بحالته بعد السؤال الذي كنه في (لما سألت فأعلى الله حاليكا) بدلالة الاهتمام وحبه للخليفة نتج عنها الشفاء المعجل مجازًا، الغاية ليست إظهار حالة الشفاء لدى المخالف بل عمد إلى إظهار علو ورفعة الخليفة ومكانته عنده مع الإشارة بسمة الخطاب المتعالي الذي كنه المخالف في متون أبياته .

وفي يوم ٢ صفر (٣٦٦هـ / ٣٠ سبتمبر ٩٧٦م) توفى (الحكم بن عبد الرحمن الناصر)(٥٥)، وبهذا يختفي آخر العظماء وليس الخلفاء من بني أمية الأندلسيين، بالإضافة إلى حنكته في إدارة الدولة إلا انه كان سخياً، حسن الخلق طيباً، صفح عن الكثير من مناهضيه الذين طلبوا الأمان منه، بالإضافة إلى مساعدته الطبقات الفقيرة، وكان لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلّا بث فيها من خيره وكرمه، لذلك ساد المجتمع أبان حكمه الرخاء والاستقرار .

ذوبان الهوية الأموية في معترك الحجاب :

بعد وفاة الخليفة (الحكم المستنصر) انتقل أمر الخلافة كما هي مرسوم لها إلى أبنه (هشام المؤيد)، ولصغر سنه جعل من ذات حكمه محكم بالوصايا وهي من أولويات ذوبان الهوية الأموية بمدتها المرسومة؛ لأن أطماع المخالفين كانت حاضرة أبرزهم الحاجب (محمد بن أبي عامر ٣٩٢هـ)(٥٦) بعد عزل الحاجب الأول لبني أمية (جعفر المصحفي(٣٧٢هـ))(٥٧) من قبل الخليفة نفسه وتوكيل أمرها إلى (محمد بن أبي عامر) الذي طالما أستغل نفوذه شيئًا فشيئًا حتى توكل له أمر الحكم برمته وبدأ بتصفية خصومه أبرزهم قتله للمصحفي(٥٨)، ستمثل هذه الجزئية حقبة هوية المصحفي الذي يعد الرائد في تمثيل الهوية الأموية في هذه الحقبة وكيف تعامل معها المخالف العامري وهيمن على ذاته تنكيلًا بالهوية الأموية بسعتها وشموليتها .

بعد ذهاب سلطانه بتمثيل الهوية الأموية وخضوعه لرحمة الحاجب الجديد وفي محاولة منه ختم حياته بالصورة التي يرسمها أي إنسان لذاته وقد حال به حال الدنيا إلى الهاوية (السجن) والتنكيل بهويته بمقصدية تامة ليكون رائدًا على الهوية المطالب بتعنيفها، لذلك نرى (المصحفي) يصوغ أبياته على نسق المَظَلمة العامرية لذاته، إذ يقول(٥٩):[الطويل]

صَبَرْتُ على الأيام لمّا تولّتِ وألزَمْتُ نفسي صَبرَها فاستمرّتِ

فوا عَجَبا للقلب كيف اعْتِرَافه وللنفس بعد العِزّ كيف اسْتذَلّتِ

وَمــا الــنفسُ إلا حيــث يجعلهــا الفتــى فـــــإن طمعـــــت تاقـــــت وإلاّ تَسَـــــلّتِ

وكانـــت علـــى الأيـــام نفســـي عزيـــزةً فلمّـــا رأت صـــبري علـــى الـــذّل ذلّـــتِ

فقلـــت لهـــا: يـــا نفـــس مُـــوتي كريمـــةً فقـــد كانـــتِ الـــدُّنيا لنـــا ثُـــمَّ وَلّـــتِ

النسق الظاهر في مرجعيات القصيدة إشارة إلى حال الحاجب (المصحفي) وما ترتب عليه أثار المظلومية التي توخاها من (محمد العامري)(٦٠) وتوظيفها بوساطة (الذّل ذلّتِ) مع مراعاة التخلص من الواقع الأليم (يا نفس مُوتي كريمةً)، تخوفا من الزيادة والمبالغة في رقي مظلوميته التي نفذت بوساطة الأيام (وألزَمْتُ نفسي صَبرَها فاستمرّتِ) مراعاة الحفاظ على الهوية التي كسبها بوساطة الممارسة التي جعلت منه ذا نفوذ وسلطة حملت بها العز والوجاهة التي تحصن بها طوال تلك المدة، أما حال النسق المضمر في توظيف نسق الظلم التي عناها منها هو تحذير هوية المجتمع من انغماس السلطة بيد (العامري) ليكون ذات سعة وشمولية في الاستيلاء على ماهية الحكم التي بدورها يشد بها مظلومية تشمل الحالة جمعاء.

كما أنَّ المقصدية في توبيخ المجتمع حاضرة بوساطة تصوير الحالة المزرية التي يعيشها (المصحفي) دون إخفاء أو تلميح بوساطة (يا نفس مُوتي كريمةً) مضمر على ذهاب عزتها وشموخها وما احتوته من علو ورفعة وتصويرها هويته وتقلباتها بفوتوغرافية عالية بوساطة (وللنفس بعد العِزّ كيف اسْتذَلّتِ) مع مضمر الحالة المهينة التي يعيشها، الوضوح والوصف في التعبير مع ترسيخ نسق الظلم هو مراعاة في التوبيخ والحذر من هوية العامري التي بوساطة عنها بسياقه المضمر بالظالمة لدعواه في كنفها بالتخلص منه والنجاة إلى بر الأمان .

المواصلة في سرد أخبار العامري وأحقاده في مرجعياته غاية يرسمها الشاعر لنا لتوظيف نسق الظلم والغدر التي ارتسمت بهوية العامري، إذ يقول(٦١): [المتقارب]

عفـــــا اللّهُ عَنْـــــكَ، ألا رحمـــــة تجـــــودُ بعفـــــوكَ أن أبْعَـــــدا

لـــئن جَـــلَّ ذنـــبٌ ولـــم أعْتَمِـــدْهُ فأنـــت أجـــلُّ وأعْلـــى يَـــدا

ألـــم تـــرَ عبـــداً عـــدا طَـــوْرَهُ ومَـــوْلًى عَفـــا ورشـــيداً هَـــدى

ومفســـدَ أمـــرٍ تلافَيْتَـــهُ فعـــاد فأصْـــلَحَ مـــا أفْسَـــدا

أقِلْنْـــي أقالـــك مَـــنْ لـــم يـــزل يَقِيـــكَ ويَصْـــرِفُ عنـــك الـــرَّدى

النسق المضمر كامن في الحديث عن أحقاد العامري وغلوه في إذلال الهوية الأموية يحتكرها في إذلال حاجبها (المصحفي) الذي يعده العامري ممثل هويتهم في حينها، المرتسم المصاغ في طلب الرحمة بوساطة (ألا رحمة) لا يوحي بطلبها بالمعنى الظاهري بقدر ما هي تبيان لحالة الهوية العامرية ومرتسمها للحقد والأغلال في التوسع بالنفوذ، براعة التوظيف الحالة الرائدة التي يعيشها هو مضمر الحديث وغايته مع الإشادة بالذنب الذي زعم العامري بارتكابه (لئن جَلَّ ذنبٌ ولم أعْتَمِدْهُ) لربما أراد الشاعر بوساطة توظيفه في سياق مرجعيته الثقافية ترك أمر احتكامها لعامة الناس، والمضمر فيها دلالة على البراءة بحسب قول الشاعر ومضمره التي يخبئها في معترك أبياته ولولاها لما عمد في ذكرها واكتفى بالسماح والعفو بغية النجاة الذي يرغب به .

إنَّ عدم المبالاة والإهمال الذي عناه جراء تسلط (العامري) عليه جعل من هويته تجاري الزمن ومحادثة النفس مما يدل بمضمرها على سوء الحالة النفسية لديه جراء التعنيف والمبالغة في الإذلال، إذ يقول(٦٢):[المتقارب]

أُجـــاري الزمـــانَ علـــى حالـــه مُجـــاراة نَفْســـي لأنفاسِـــها

إذا نَفَـــسٌ صـــاعدٌ شَـــفّها تـــوارَتْ بـــه بـــين جُلاّسِـــها

وإن عكَفَـــتْ نَكْبـــة للزمـــان عَطفْـــتُ بنفســـي عَلـــى رأسِـــها

مضمر الجمل التي رسخها في معترك أبياته الشعرية دلالة على حالة اليأس الذي تكهنت في حياته جراء سوء التعامل الذي تكرم به العامري، السياق المضمر إحياء لحالة المجتمع والظلم الذي يسوده عند هيمنة (العامري)، المقصدية في التعامل حاضرة في سياق النص من إذلاله

الذي يعد بدوره إذلال الهوية الأموية وهذا ما حققه بأبياته وسنلحظ أفعال العامري بحق العائلة الأموية في الفصل الثاني ومجاراتها في السلطة والحكم والجور الذي عاناه (هشام المؤيد) أبان مدة حكمه ومصير أمه التي نالت مصير (المصحفي) نفسه في معترك السجون وملاقاة حتفها .

الخاتمــة

نعمت تلك الهويتان (عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر) بالحكمة والقوة، واستطاعتا أن ترسخا بنيانًا شامخًا يرِسم ملامح بلاد الأندلس وتبرزا لها هويتها، و ان تعلنا دولة قائمة بذاتها (سياسيًا، اقتصاديًا، ثقافيًا)، نعمت ربوع الأندلس بالأمن والرخاء أبان تلك المدة، وحسن الحياة المعيشية فضلًا عن ازدهار الجانبين العمراني والثقافي لذلك العصر، كما أنَّ الصراع الهوياتي الكامن في ربوع العصر دليل على الأطماع الشخصية لدى (محمد بن أبي عامر) أكثر من كونها ترسيخ مبادئ الهوية العامرية بشكلها العام، ان التحول الحاصل من ترسيخ مبادئ لقواعد الهوية العامرية نابع من نظريات فذة، أتسمت بالتسلط والخداع لمحو الهوية الأصلية (الهوية الأموية)، ساعدت على ذلك الحنكة والخبرة التي اتسم بها محمد العامري في بث أفكاره التي أسهمت ضعف الدولة وانحلالها بشكل موجز بالقضاء على الأمويين في الأندلس، ونتج عن التصادم بين الهوية والمخالف سوء أدارة البلاد وضياع العصر بأكمله (عصر الخلافة) قبل فوات أوانه، إذ تمثلت نهاية العصر بضعف وانحلال الدولة وذهاب هيبتها نتيجة الصراع الحاصل بينهما، بعدما مثلت بالعصر الذهبي أبان تلك الحقبة، كما أن شرارة الموقف قد تعدت إلى عصر الملوك والطوائف الذي بدوره مثل الفرقة بين الهوية الإسلامية وفرقة إدارة الدولة بتعددها إلى ولايات صغيرة .

Abstract

Identity and difference and their impact on the loss of the era of the Andalusian Caliphate

Keywords: identity, loss, caliphate

The paper is extracted from a PhD thesis

Asst. Arkan Ali Saleh Rumayd, Prof. Dr. Louay Seihoud Al-Tamimi

Diyala University / College of Education for Human Sciences

When studying any topic related to the sociological and ideological side, we cannot neglect the historical and political sides, especially when the content of the topic is related to (identity and difference) it is the content of the content and this is a matter, as for the second matter it is related to cultural studies, so we had a special pause on the political side ; Because the researcher will stand on the identity of the Mamdouh, the Arabic satirist, the Western opponent, and other identities mentioned in the text of the references to the Andalusian poem.

The characteristic of the identity of the Caliphate era, and especially the political identity, is one of the features that affected the creation of the historical cultural identity of the country of Andalusia. Some scholars have called it the (golden age), because the political, cultural, and urban arena witnessed sophistication that contributed to the dominance of the era of the Caliphate, but it does not differ from the era that preceded it (the era of rulers) nor the eras that preceded it, such as (the era of sects, the Almoravids and the era of the monotheists In terms of political turmoil and the abundance of wars and strife and even in terms of cultural contexts, as the beginnings of the era of the Caliphate witnessed many wars, conquests, internal disturbances and battles against the revolutionaries, so that the country of Andalusia was looking forward to a wise leader with determination to take over the caliphate of this era. .

الهوامش

١. عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله، الذي قتله أخوه مطرَّف، ابن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام الرَّضي ابن عبد الرحمن الداخل، كنيته أبو مطرف، لقبه، الناصر لدين الله، أمه أُمُّ ولد تسمى مُزنة، تولى الحكم بعد وفاة جده الأمير عبد الله، في صبيح يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول سنة ثلاثمائة، دامت خلافته خمسون سنة وستة أشهر وثلاثة أيام، ينظر: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ابن عذاري، حققه وضبط نصه وعلق عليه، بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي،ط١، م٢/ ١٦٤ وما بعدها، تاريخ علماء الأندلس، لأبي الوليد عبد الله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي، تحقيق الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط١: ج١/١٩، ٥٨. الخلافة الأندلسية: عبد المنعم الهاشمي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م: ٣٧٦.

٢. ينظر: ٣٥. تاريخ المسلمين في الأندلس: د. محمد سهيل طقوش، دار النفاس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠م: ٣٠٩، الخلافة الأندلسية: ٣٧٦-٥٨١ .

٣. ينظر: الحضارة العربية في إسبانيا: ليفي بروفنسال، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة لثالثة، ١٩٩٤م: ٢٢ ، ١٣١، معالم تاريخ المغرب والأندلس: حسين مؤنس، مكتبة الأسرة، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م: ٣٥٣، الخلافة الأندلسية: ٣٧٨، الأدب العربي في الأندلس (تطوره – موضوعاته وأشهر أعلامه)، الدكتور علي محمد سلامه، الدار العربية للموسوعات، ط١، ١٩٨٩م: ٢٠ .

٤. هو شهابُ الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حُدير بن سالم القرطبي، أبرز شعراء الدولة المروانية في الأندلس، ولد في مدينة قرطبة عام (٢٤٦هـ)، يكنى أبا عمر، كان من أهل العلم والأدب والشعر، ألف كتاب حمل عنوان (العقد الفريد)، كان من الشعراء المعسرين الحال، ثم فتحت له الدنيا من عطاياه بعد مدحه للقواد والأمراء والخلفاء ونال من البيت المرواني مكانة رفيعة، تناول في شعره العديد من الأغراض الشعرية (المدح، الغزل، الرثاء، الزهد، الطبيعة،...الخ)، توفي سنة (٣٢٨هـ) من جمادى الأولى، ينظر: ٢٦. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: أحمد بن يحيى الضَّبي، تحقيق د. روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م: ١٢٨ وما بعدها، العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق د. محمد التونجي، دار صادر، لبنان، ط٢، ٢٠٠٩م: م١/ ٥ ، ديوان ابن عبد ربه، تحقيق د. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط١، ١٩٧٩م: ٥ .

٥. المصدر نفسه: ٦٤ .

٦. ينظر: تاريخ المسلمين في الأندلس: ٣٠٩، الحضارة العربية في إسبانيا: ٢٥ .

٧. ينظر: دولة الإسلام في الأندلس، تأليف محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م: (ع١- ق٢- ٣٧٧)، الحضارة العربية في إسبانيا: ٢٢ .

٨. ديوان ابن عبد ربه الأندلسي: ٣٦ .

٩. ينظر: البيان المغرب : ١٦٧، الحضارة العربية في إسبانيا :٢٥ ، الخلافة الأندلسية: ٣٧٨ ، الأدب العربي في الأندلس:٢٢، تاريخ المسلمين في الأندلس: ٣١٣، الأندلس في الرواية العربية والأسبانية، الدكتور مراد حسن عباس،الحضري للطباعة، مصر: ٣٣ .

١٠. ديوان ابن عبد ربه الأندلسي: ٣٧ .

١١. طليطلة: أبرز المدن الأندلسية تقع في منتصف بلاد، ولمكانتها المهمة جعلها القوط عاصمة لهم، تمتاز بطبيعتها الخلابة، بساتين محدقة وأنهار وجنان وفواكه، تطل على نهر (تاجه)، سميت في عصر بني أمية بـ(الثغر الأدنى)، كما سميت بـ(مدينة الأملاك) والسبب يعود ملكها اثنان وسبعون إنسان، ينظر: ١٥٤. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت: م١/ ١٦٠، صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة، د. عمر إبراهيم توفيق، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م: ٦٨.

١٢. تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات الأندلس): الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٦، ٢٠١٧م: ٣٠ .

١٣. نفح الطيب: ج١/ ١٧٢ .

١٤. تاريخ المسلمين في الأندلس: ٣١٠ .

١٥. ديوان ابن عبد ربه الأندلسي: ١٢٧ وما بعدها .

١٦. المصدر نفسه: ١٢٨ .

١٧. المصدر نفسه: ٣٨ .

١٨. المصدر نفسه: ٣٨ .

١٩. المصدر نفسه: ٣٩ وما بعدها .

٢٠. الرتاج: الباب العظيم، المصدر نفسه: ٤٠ .

٢١. المصدر نفسه: ٤٠ .

٢٢. أفرت القدر: اشتد غليانه، وأفر البعير: نشط، القنابل: طائفة من الناس والخيل، المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٢٣. المصدر نفسه: ٤٠ وما بعدها .

٢٤. عمر بن حفص المعروف بابن حفصون، من أبرز المعارضين الدولة الأموية إذ أنماز بقوته وشجاعته في محاربة مخالفيه على مدار مدة من الزمن أتعب خلالها العديد من القواد الأمويين أبرزهم (عبد الرحمن الناصر) الذي استطاع ان يقضي على ثورته بقتله، وان يعيد لبلاد الأندلس وحدتها وهيبتها، ينظر: بغية الملتمس: ٣٥٥ .

٢٥. ديوان ابن عبد ربه الأندلسي: ٦٦ .

٢٦. المصدر نفسه: ٦٦ .

٢٧. المصدر نفسه: ٦٧ .

٢٨. المصدر نفسه: ١٣٧ وما بعدها .

٢٩. المصدر نفسه: ١٨١ .

٣٠. المصدر نفسه: ١٨١ .

٣١. ينظر: نفح الطيب: م١/ ٣٥٣، الحضارة الأندلسية بأقلام إسبانية، رضا هادي عباس، سلسلة ترجمان، بغداد، ط١، ٢٠١٦م: ج١/ ٩٦ وما بعدها، الحضارة العربية في إسبانيا:٢٥.

٣٢. ديوان ابن عبد ربه الأندلسي: ٣٥ وما بعدها .

٣٣. المصدر نفسه: ٣٧ .

٣٤. المصدر نفسه: ٥٤ .

٣٥. ينظر: البيان المغرب: ج٢/ ٣٤٦ ، الحضارة العربية في إسبانيا: ٤٨ .

٣٦. ينظر: تاريخ المسلمين في الأندلس:٣٩٠، البيان المغرب: ج٢/ ٣٤٦ ، الحضارة العربية في إسبانيا: ٤٨ .

٣٧. ينظر: الأدب الأندلسي، الدكتور سامي يوسف أبو زيد، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الطبعة الثانية، ٢٠١٦م: ٢٢ .

٣٨. مدينة عظيمة تعد قاعدة الأندلس ومدينة العلم، امتازت بنقاء الماء والهواء، وطبيعتها المتمثلة بالبساتين والمياه والعيون، نالت مكانة رفيعة بين الخلفاء فجعلوها عاصمة لهم، احتوت على قصر الزهراء وهو سرير الخلافة (دار الملك) وعلى قصر الزاهرة والمسجد الأموي بالإضافة إلى المكتبات الضخمة البهية والى أسواق كبيرة وحمامات ومقاهي، نفح الطيب،ج١/٤٥١.

٣٩. ينظر:الحضارة العربية في إسبانيا:٤٤، تاريخ المسلمين في الأندلس، ٣٥١ .

٤٠. الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، كنيته: أبو المطرِّف، لقب المستنصر بالله بسبب كثرة فتوحاته الإسلامية، ولد في عام (٣٠٢هـ)، تولى زمام الخلافة بعد وفاة أبيه في عام (٣٥٠هـ)، وكان قد بلغ الخامسة والأربعين عاماً، وكان طليعاً بأمور الخلافة كأبيه، نعمت فترة حكمه بالرخاء والازدهار بسبب حنكته في إدارة أمور البلاد، وتوفى في عام(٣٦٦هـ) فكانت خلافته خمس عشرة سنة، ينظر: الخلافة الأندلسية: ٤٧٦وما بعدها، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، المجلد الثاني: ٤١،

بغية الملتمس: ٢١، تاريخ علماء الأندلس: ١٩، المجمل في تاريخ الأندلس، عبد الحميد العبادي، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م: ١٤٠ .

٤١. ينظر: المقتبس في أخبار بلد الأندلس: لأبي مروان حيان بن خلف (ابن حيان الأندلسي)، شرحه واعتنى به الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م: ١٥٨ وما بعدها، معالم تاريخ المغرب والأندلس: ٤١٧، الحضارة العربية في إسبانيا:٦٤ وما بعدها .

٤٢. ينظر: الحضارة العربية في إسبانيا:٤٤، الأدب العربي في الأندلس: ٢١ وما بعدها، الخلافة الأندلسية: ٤٥٨ .

٤٣. عبد الملك بن سعيد المردى الخازن، رئيس أديب شاعر كثير الشعر موصوف بالفصل، له العديد من القصائد تناولت موضوعات عدة منها (الناعورة، مرواة)، ينظر: بغية الملتمس: ٣٣١ .

٤٤. نفح الطيب: ٣٩٣/١ .

٤٥. المصدر نفسه: ٣٩٣/١ وما بعدها .

٤٦. يعلي بن أحمد ن يعلي القائد، شاعر كان في دولة الحاجب المنصور (أبي عامر محمد بن أبي عامر)، وأورد له الحميدي مقطوعة شعرية، ينظر: بغية الملتمس: ٤٤٨.

٤٧. المقتبس في أخبار بلد الأندلس: ١٥٩ .

٤٨. المصدر نفسه: ١٦٠ .

٤٩. يحيى بن هذيل بن عبد الملك بن هذيل بن إسماعيل بن نويرة التميمي، يكنيته أبا بكر، ولد في مدينة قرطبة من عام (٣٠٥هـ)، أهتم بدراسة العلوم الدينية من فقه ورواية الحديث والخبر، كما شاع ذكره باهتمامه بالعلوم الأدبية في عصره فيما يتعلق بمجال الشعر إذ ظهرت موهبته منذ وقت مبكر من حياته، زادت معرفته في تلقي العلم من مجالس العلماء والفقها والأدباء في أيام لخليفة (عبد الرحمن الناصر)، ينظر: شعر يحيى بن هذيل القرطبي الأندلسي: جمع وتحقيق ودراسة الدكتور محمد علي الشوابكة، منشورات جامعة مؤتة، ط١، ١٩٩٦م: (١٣– ١٥– ١٩)، تاريخ علماء الأندلس: ٥٧٣، نفح الطيب: ٧٤/٣ .

٥٠. شعر يحيى بن هذيل القرطبي الأندلسي: ١٠١ وما بعدها .

٥١. المصدر نفسه: ١٠٢ .

٥٢. نفح الطيب:١١٠/٤.

٥٣. صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد البخاري، ترقيم وترتيب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم العلامة أحمد محمد شاكر، دار ابن حزم، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م: ٢٨٥/٢٤٠٩، صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، المحقق نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة، ط١، ٢٠٠٦م: ٨٨٦/١٨٢٩ .

٥٤. نفح الطيب:١١٠/٤.

٥٥. ينظر: الحضارة العربية في إسبانيا: ٦٤، معالم تاريخ المغرب والأندلس: ٤٢٢.

٥٦. المنصور محمد بن أبي عامر المعارفي، أمير الأندلس في دولة هشام المؤيد وحاجبها، استولى على الحكم بعد قتله أبا جعفر المصحفي ساد في مدة حجابته العديد من المعارك وكان النصر لحليفه، ازدهرت الأندلس أبان حكمه بسبب سياسته الفذة والحكمة في الإدارة، ينظر: نفح الطيب: م٣/ ٣٦٤ وما بعدها، المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد المراكشي، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، مصر: ١٩٩/١ .

٥٧. هو جعفر بن عثمان المصحفي، يعود نسبه إلى البربر من بلنسية، كان أبوه وزيرًا في عهد (عبد الرحمن الناصر)، تولى المصحفي الحجابة على الخليفة (هشام المؤيد)، قتل بعدها على يد (محمد بن أبي عامر) بتهمة المؤامرة كان ذلك في عام (٣٧٢هـ). ينظر: البيان المغرب:ج٢/٢٨٥، الخلافة الأندلسية: ٥١٠-٥٢٩ .

٥٨. نفح الطيب: ٣٩٦/١-٤٢٠ .

٥٩. المصدر نفسه: ٥٩٣/١ .

٦٠. المصدر نفسه: ٣٩٦/١-٤٢٠ .

٦١. المصدر نفسه: ٥٩٥/١ .

٦٢. المصدر نفسه: ٥٩٤/١ .

المصادر والمراجع

- الأدب الأندلسي: الدكتور سامي يوسف أبو زيد، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الطبعة الثانية، ٢٠١٦م: ٢٢ .
- الأدب العربي في الأندلس (تطوره – موضوعاته وأشهر أعلامه): الدكتور علي محمد سلامه، الدار العربية للموسوعات، ط١، ١٩٨٩م .

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية .
- الأندلس في الرواية العربية والأسبانية: الدكتور مراد حسن عباس،الحضري للطباعة، مصر.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: أحمد بن يحيى الضَّبي، تحقيق د. روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م.
- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري، حققه وضبط نصه وعلق عليه، بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط١ .
- تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات الأندلس): الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٦، ٢٠١٧م .
- تاريخ المسلمين في الأندلس: د. محمد سهيل طقوش، دار النفاس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الثالثة .
- تاريخ علماء الأندلس: لأبي الوليد عبد الله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي، تحقيق الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط١ .
- الحضارة العربية في إسبانيا: ليفي بروفنسال، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة لثالثة، ١٩٩٤م .
- الخلافة الأندلسية: عبد المنعم الهاشمي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م .
- دولة الإسلام في الأندلس: تأليف محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م .
- ديوان ابن عبد ربه: تحقيق د. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط١، ١٩٧٩م.
- شعر يحيى بن هذيل القرطبي الأندلسي: جمع وتحقيق ودراسة الدكتور محمد علي الشوابكة، منشورات جامعة مؤتة، ط١، ١٩٩٦م .

- صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد البخاري، ترقيم وترتيب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم العلامة أحمد محمد شاكر، دار ابن حزم، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م .
- صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، المحقق نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة، ط١، ٢٠٠٦م .
- صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة: د. عمر إبراهيم توفيق، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م .
- العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق د. محمد التونجي، دار صادر، لبنان، ط٢، ٢٠٠٩م .
- المجمل في تاريخ الأندلس: عبد الحميد العبادي، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م .
- معالم تاريخ المغرب والأندلس: حسين مؤنس، مكتبة الأسرة، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.
- المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد المراكشي، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، مصر: ١٩٩/١ .
- المقتبس في أخبار بلد الأندلس: لأبي مروان حيان بن خلف (ابن حيان الأندلسي)، شرحه واعتنى به الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت .